

مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد النشأة والرواد

School yearbooks and new history, origin and pioneers

مكي محمد

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، mohmekki1982@gmail.com

تاريخ النشر: 2021 /01/05

تاريخ القبول: 2020 /09/12

تاريخ الاستلام: 2020/08/24

الملخص:

هدف هذه الدراسة التطرق للإنتاج المعرفي لدى مدرسة الحوليات الفرنسية (Ecole des Annales) في مجال البحث التاريخي الذي شكل حلقة أساسية بل ومركزية ضمن النسق الاسطوغيرافي الفرنسي من خلال إعطاء تفسير وتصور الجديد في التعامل مع الواقع التاريخي الذي ظهر مع تأسيس مجلة الأناال (Annales) سنة (1929) على يد كل من : لوسيان فافر ومارك بلوك اللذان وسعا حقل المعرفة التاريخية إلى العلوم الاجتماعية والاهتمام أكثر بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الذي ظل على الهامش لدى الوضعانيين الفرنسيين والتطرق إلى النقلة الابستمولوجية التي عرفتتها الكتابة التاريخية مع المؤرخ فرناند بروديل الذي أعطى رؤية جديدة للزمن التاريخي من خلال مده إلى أزمة متعددة (الزمن الطبيعي، الاجتماعي، السياسي) وأزمة متفاوتة المدة (الزمن الطويل، الدوراني، القصير) وإدخال مفهوم البنية كأساس للتغيير يُحدد الانتقال من زمن إلى آخر كما تهدف الدراسة إلى توخي واستجلاء أصول وبرامج مدرسة الحوليات ورصد المحطات الأساسية التي طبعت مسيرتها بمختلف تجلياتها الفكرية والايديولوجية والوقوف عند أهم إنتاجات روادها .

كلمات مفتاحية: : المدرسة الفرنسية، مدرسة الحوليات، التاريخ الجديد، فرناند بروديل.

Abstract:

The aim of this study is to adresse the cognitive production of the French Yearbook School (Ecole des Annales) in the field of historical research, which formed a fundamental and even central link within the French mythological system by giving an interpretation and perception of the new in dealing with the historical reality that emerged with the founding of the Annales magazine in the year (1929) at the hands of: Lucien Favre and Marc Block, who expanded the field of historical knowledge to the social sciences and paid more attention to economic and social history that remained on the sidelines of the French positivists, and touched upon the epistemological shift that historical writing experienced with the historian Fernand Braudel, who gave a new vision of the historical time. By extending it to multiple crises (natural, social, and political

time) and times of varying duration (long, rotational, short time) and introducing the concept of structure as a basis for change defining the transition from one time to another. The study also aims to envisage and clarify the origins and programs of the Yearbook School and monitor the basic stations that Her career has been marked by its various intellectual and ideological manifestations and by standing at the most important productions of its pioneers.

Keywords : The French School, School of Yearbooks, New History, Fernand Braudel

مقدمة

شكلت المدرسة التاريخية الفرنسية مع ظهور الحوليات تجسيدا للنقاش الذي حصل بين التاريخ وعلوم الإنسان في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والذي أفرز تصور جديد للتاريخ مفتوح على مفاهيم ومقاربات مختلف العلوم المجاورة ، كما أعطت هذه المدرسة نفس جديد للتاريخ من خلال إخراجها من الانغلاق والترسب الذي سادته مدة طويلة مع المدرسة الوضعانية ، وفتحها لميدان المعرفة التاريخية نحو أفق أعلى مرتبط بمجالات متعددة ، فأمام هذه الظرفية ألا يحق لنا التساؤل عن الظرفية الفكرية والإبستولوجية التي ولدت فيها مدرسة الحوليات ؟ وأهم أبرز منظريها ؟ وماهي الأسس المعرفية والمنهجية التي اعتمدتها في دراسة التاريخ.

1 الكتابة التاريخية الفرنسية في فترة ما قبل ظهور الحوليات:

1.1 فرنسوا سيميان وبداية التأسيس لنقاش فلسفي تاريخي:

عرفت الإسطوغرافيا ⁽¹⁾ الفرنسية تحولا كبيرا في المنهج والكتابة التاريخية في بداية القرن العشرين مع الفيلسوف (فرانسوا سيميان) الذي نشر مقالا في مجلة التوليف التاريخي (La Revue de synthèse historique) بعنوان "المنهج التاريخي وعلم الاجتماع" وجه فيه نقدا لاذعا للتاريخ التقليدي الذي أسسه المؤرخان (شارل وسينيوبوس) وحاثا فيه المؤرخين للخروج من أصنام القبيلة التي عدد ثلاثة منها : الأول (الصنم السياسي وهو ذلك الاهتمام الكبير الذي أولي للتاريخ السياسي من حيث الهيمنة والكم) الثاني: (الصنم الفردي وهو تلك العادة المترسخة في فهم التاريخ على أنه تاريخ الأفراد)، وثالثا : (صنم التسلسل التاريخي الذي ميز التاريخ السياسي والدبلوماسي وذهب بالمؤرخ نحو البحث عن الأصول وإخراج الكتابة التاريخية في شكل كرونولوجي)، هذا الطرح أحدث هزة كبيرة وحرك المياه التاريخية الراكدة التي أوصلتها منهجية المدرسة الوضعانية

، وفرض على المؤرخين إشكالية قدرة التاريخ على التشكل كطريقة إيجابية للمعرفة في مقابل علم الاجتماع⁽²⁾، كما قاد نحو مناقشات ومطارحات دارت بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية وبصورة أخص المؤرخين وعلماء الاجتماع الذين كانوا يتنازعون السيطرة على حقل المعرفة ذاته (الفعل الانساني) ويخوضون معارك من أجل جذب العلوم الأخرى نحو محور علم الاجتماع واحتكارهم تفسير الظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية على اعتبارها فرع من علم الاجتماع وليس من علم التاريخ، هذا النقاش طرح على علم التاريخ التجدد والانفتاح على الحركات البطيئة والظروف الاجتماعية الأكثر ملائمة لإعداد القوانين⁽³⁾ وهذا ما أدى فيما بعد إلى نجاح كبير عرفه هذا المقال إذ ستبعب مدرسة الحوليات برنامجيه بحذافيره لمقارعة التاريخ التاريخاني وتطوير تاريخ جديد استمدته من النقد الصادر سنة (1903) يقوم أساسا على التجديد وعلى تاريخ إشكالي يدفع نحو البحوث الاجتماعية قصد إعطاء نماذج بنائية لفائدة تاريخ توحيدي وليس لفائدة علم الاجتماع، يظهر ذلك من خلال الاعتراف بالتأثير الموازي الذي اعترف به كل من مارك بلوك (1886-1944) M Bloch و لوسيان فيفر (1878-1956 Lucien Febvre) في نقل التاريخ من الانكماش إلى حقل العلوم الاجتماعية وتأسيس مدرسة الحوليات سنة (1929) ردًا على التحدي الدوركامي وللتعبير على فضل هذا المقال إعادة مجلة الحوليات نشر مقال سيمييان سنة (1960) ⁽⁴⁾.

2.1 الحوليات :الإرهاصات والظرفية الفكرية والابستمولوجية

2.1.1 الإرهاصات الأولى:

هنري بير ملهم الجيل الأول للحوليات:

إن كان هناك من فضل لهذا الفيلسوف على الحوليات فإن شهادة فرنان بروديل عنه تغنيانا عن كل تأكيد وتأكيذ إذ يقول في سيرته الذاتية التي كتبها عام 1972 "...هذا الرجل هو إلى حد ما الحوليات قبل نشوئها سنة 1900، وربما منذ عام 1890...إليه يجب الرجوع إذا أردنا أن نعرف كيف بدأ كل شيء... " فمن خلال هذه المقولة يمكن أن نرجع الإرهاصات الأولية التي استهدفت تأصيل الكتابة التاريخية بفرنسا على الأقل في القرن العشرين من خلال المجلة التي أسسها هنري بير (Henri Berr) سنة (1900) تحت عنوان " مجلة التركيب التاريخي " التي عبرت عن نفسها في صمت خلال العشرينيات وبشكل أكثر علانية خلال الثلاثينيات حيث حملت نزعة جديدة للتاريخ الفرنسي شعارها التصدي للوضعانية التي هيمنت منذ بداية القرن العشرين على الإنتاج التاريخي في شكله التقليدي الموهوس بالحدث والمقيد بالوثيقة بمفهومها الضيق واقترحت - مجلة

التركيب- مقابل ذلك برنامجا بديلا يروم إلى فك الارتباط وإحداث قطيعة معرفية مع المشهد الذي ميز الاسطوغرافيا الفرنسية كما هدفت في ذات الوقت إلى خلق نسق متلاحم من العناصر الجديدة والحاسمة في دراسة وكتابة التاريخ وتركيز الاهتمام على القضايا الجديدة التي تمس التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والديمقراطي والذهني ثم توسيع حقل المعرفة التاريخية وذلك بالانفتاح على مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية ومواصلة الاحتكاك بها وفرز أسلوب جديد في طرح الإشكاليات وتصوير جديد لزمن التاريخ عبرت عنه من خلال افتتاحية العدد الأول من المجلة الذي جاء تحت عنوان "بخصوص برنامجنا" الذي أبدى فيه هنري بير رغبته في الخروج من حالة الانحباس التي يعاني منها البحث التاريخي وفتح المجال أمام التعدد المعرفي وحقن التاريخ بالنظرية لأنها قادرة على تكريس الممارسة وإيجاد علاقة بين مناهج التاريخ والقضايا الملموسة التي من شأنها أن توحد بين التاريخ السياسي والتاريخ الاقتصادي وتاريخ الأديان وفلسفة العلوم والآداب والفنون وتجاوز مرحلة التنقيب والتدقيق في الأحداث وعدم الغرق في ركام الأحداث الذي لا يساوي شيئا والتوجه نحو طرح إشكالي لمهابة البحث والمنهج التاريخي.

أثناء إدارة هنري بير للمجلة طيلة نصف قرن هدف إلى جمع الأشكال المختلفة التي يتوزع حولها التاريخ: (تاريخ سياسي، تاريخ اجتماعي، تاريخ اقتصادي، تاريخ العلوم، تاريخ الفن... محاولاً زيارة هذه العلوم ومساءلتها وجامعاً في هذه المجلة مساهمة تخصصات متعددة تدعوا كلها إلى إدراك عميق للواقع الاجتماعي وتحطيم الحواجز بين مختلف علوم الإنسان، فكانت أعدادها ملتقى يجمع علماء اجتماع (E. Durkheim) وجغرافيين (Fidel de la Blanche) واقتصاديين (F. Simiand) وعلماء نفس (H. Valon) مؤرخين (L. Febvre) وقد استمرت هذه المجلة تحت هذا العنوان إلى سنة (1931) لتغير اسمها إلى مجلة "التركيب" واختفاء نعت "التاريخي" تبرره سيادة الفلسفة والعمومية على المجلة كما قامت المجلة بتنظيم (أسابيع التركيب): وهي ملتقيات فكرية وندوات منتظمة لتبادل الأفكار شارك فيها مجموعة من المثقفين الجامعيين من بينهم: المؤرخ الاقتصادي (Hausser) والسوسيولوجي الاقتصادي (F. Simiand) والسوسيولوجي (M. Halbwachs) والفيلسوف (L. Branschvique) والمؤرخان (L. Febvre .M. Bloch) إلى جانب بعض البيولوجيين والفيزيائيين وكان فيفر المحرك والمسؤول عن تلك الأسابيع، بالإضافة إلى

تلك الأعمال كان هري بير منذ سنة (1920) يدير سلسلة هائلة صدرت في 40 مجلدا خلال فترة ما بين الحربين تدعى "تطور البشرية". "L'évolution de la humanité".

على الرغم من كل هذا التأثير بقيت استجابة المؤرخين خاصة (فيفر وبلوك) نسبية وبعيدة عن المطارحات الفلسفية التي ميزت مجلة "التركيب التاريخي" إذ مال تصورهما للتاريخ في نهاية المطاف نحو سوسيولوجية دوركايم وجغرافية فيدال دولا بلانش متنبهان للزمنيات المتباعدة والتطورات الاجتماعية المتفاوتة وتنوع المجالات الجغرافية أكثر من ميلهما إلى التنظير الفلسفي وهذا ما فرض عليهما في النهاية خلق توجه جديد مبني على أساس بحوث ملموسة ذات صلة وثيقة بالواقع الاجتماعي والاقتصادي تجسدت من خلال مجلة الحوليات (5).

2.1.2 النظرية الفكرية والاستمولوجية:

يعتبر فكر "الحوليات" تنويعا لسلسلة من المجهودات النظرية والمنهجية والعملية التي استغرقت عقودا من الزمن فوسط الحقل الفكري الذي ميز الاسطوغرافيا الفرنسية سيوفر المؤرخان: ل. فيفر و م. بلوك شروطا للحوار مع ثلاثة اتجاهات فكرية ومعرفية:

المدرسة الجغرافية:

كان علم الجغرافيا في فرنسا مع بداية القرن العشرين يشهد تحولا كبيرا خاصة مع الجغرافي فيدال دولا بلانش الذي اتجهت دراساته نحو المجال الطبيعي وعلاقته المتفاعلة مع الإنسان التي قدمت العديد من المفاهيم كالوسط "Le milieu" نمط الحياة "Genre de vie" والمشهد الراهن "Quotidieneté" التي كانت مرجعا لدراسات مؤرخي الحوليات مكنتهم من تعميق دراساتهم التاريخية لفهم العلاقة الجدلية بين البشر والمكان وعلاقة التفاعل والتبادل بين الإنسان والأرض فأعطت هذه الأخيرة لمؤرخ الحوليات الانفتاح على المشاهد الطبيعية والمواقع الثابتة وسمحت له بالخروج من الأرشيف الوثائقي ولوائح الأسعار وسجلات الكنيسة

وهذا ما عبر عنه لوسيان فيفر "...يمكننا القول إلى حد ما أن الجغرافيا الفيودالية هي التي أنجبت التاريخ الذي هو تاريخنا..."⁽⁶⁾، كما مهدت لحقل معرفي خاص يربط ربطا عضويا وجدليا بين التاريخ والجغرافيا التاريخية التي ستصل ذروة إبداعها مع المؤرخ فرنان بروديل في أطروحته " البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني " (1949).

المدرسة السوسيولوجية:

ساد سجال كبير وصراع أكاديمي في بداية القرن العشرين بين علماء الاجتماع (دوركايم) والمؤرخين (فيفر بلوك) أدى في النهاية بالآخرين إلى إغناء التاريخ بأطروحات مدرسة علم الاجتماع الدوركهايمي وتوسيع مجاله إلى التاريخ الاجتماعي والانتروبولوجيا التي كان يحتكرها علم الاجتماع ، إذ مارست مدرسة علم الاجتماع الفرنسي تأثيرا في التحول الذي سيشهده علم التاريخ الذي خرج بفعل هذا التحدي والتنافس العلمي من حيز التاريخ السياسي والمؤسسات السياسية التي انغلق فيها إلى مجال دراسة الحياة الاجتماعية .

مدرسة الاقتصاد الماركسية:

لاسيما كارل ماركس (Karl Marx) وفون شمولير (G Von Schmoller) اللذان قدما للمؤرخين الجدد أطر نظرية وأدوات منهجية أساسية للتحليل التاريخي فهنري بيرين منذ (1890) ومارك بلوك سنتي (1908-1909) كانا يتلقيان دروسا دورية في جامعات برلين وليبنغ ويحضران - خصوصا هنري بيرين- الملتقيات السنوية للمؤرخين الألمان التي كانت تقام في نهاية القرن (19م)، ثم إن اسم مجلة الحوليات (حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي) التي أخرجها للوجود مارك بلوك ولوسيان فيفر في أوائل سنة (1929) تم اقتباسه بعد اقتراحات متعددة ومختلفة من اسم المجلة الألمانية (مجلة التاريخ الاقتصادي) .

لذا فهذا الحوار النظري والعميق والاحتكاك المنهجي الطويل بين التاريخ والأفكار والمناهج الجغرافية والسياسيولوجية والاقتصادية قد ساهما بقوة في خلق مجلة الحوليات التي ستكون وعاءاً لبرنامج جديد وجريء أدى إلى خلق مجموعة من الأبحاث ذات الأهمية التاريخية البالغة (7).

2. ميلاد مدرسة الحوليات:

2.1. جامعة ستراسبورغ منشأ الحوليات:

أصبحت جامعة ستراسبورغ واجهة الدولة الفرنسية بعد استرجاعها من الألمان سنة (1920) وثاني جامعة بعد باريس من حيث عدد وأهمية الأساتذة الجامعيين (علماء الجغرافيا، علماء النفس، علماء الاجتماع) ومؤرخين تجمعوا فيما بعد حول مجلة الحوليات على رأسهم لوسيان فيفر ومارك بلوك اللذان كانا يحتلان موقعا استراتيجيا ضمن أرضية فكرية غنية، كما هب في هذه الفترة على جامعة ستراسبورغ فكر جديد شبيه بفكر مجلة التوليف التاريخي فتح آفاقا وانفتحا ظهر من خلال اللقاءات الفكرية التي كانت تنظم كل يوم سبت وتسمح بلقاء الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخين والجغرافيين والحقوقيين أسست فيما بعد لحوار منتظم حول ثلاث مواضيع (الفلسفة والاستشراق، تاريخ الديانات، التاريخ الاجتماعي) ففي هذا الجو العلمي التقى مارك بلوك ولوسيان فيفر سنة (1920) فالأول كان ينتمي لمعهد التاريخ الوسيط والآخر لمعهد التاريخ الحديث وكانا يتمتعان بسمعة علمية مؤكدة ويساهمان بالكتابة في مجلة التوليف التاريخي، فلوسيان فيفر كان قد نشر مؤلفين هامين أطروحته (فليب الثاني ومنطقة الفرانش كونتية) " Philip II et la Franche-Comté سنة (1911) وكتابه حول (مارتن لوثر) (Martin Luther) سنة (1928)، أما مارك بلوك الذي كان يصغره بثماني سنوات فهو صاحب أطروحة نوقشت عام (1920) عنوانها (ملوك وأقنان) " Rois et Serfs وكتابه (الملوك صناع المعجزات) les Rois thaumaturges الصادر سنة (1924)، فمسيرتهما الجامعية بعيدة كل البعد على أن تكون هامشية فحتى بعد إصدار المجلة بقليل انتقلا تباعا إلى باريس فأصبح لوسيان فيفر أستاذا للتاريخ في كوليج دو فرانس التي انتسب إليها سنة (1933) وهناك كلفه وزير التربية الفرنسية بين سنتي (1932/1934) بإدارة موسوعة فرنسية تدير سنته مائة مشارك علمي ومائتي جامعي وتجمع بين ثلاث مجموعات (مجلة

التوليف التاريخي ،سنة علم الاجتماع الحوليات) أما زميله مارك بلوك فأصبح أستاذا للتاريخ الاقتصادي في جامعة السوربون⁽⁸⁾.

2.2 تأسيس مجلة الحوليات (1929) بداية للانفتاح على مجالات التاريخ:

ظهرت هذه المجلة بجامعة ستراسبورغ في(15جانفي1929) تحت عنوان :حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ⁽⁹⁾ " Les Annales d'histoire économique et sociale " وبإشراف هيئة تحرير مكونة من مارك بلوك ولوسيان فيفر وإشراك متخصصين من باقي التوجهات المعرفية في إدارة المجلة من أبرزهم الجغرافي (ألبير دومانجون) وعالم الاجتماع (موريس هالبواكس) وعالم الاقتصاد (شارل ريست) وعالم السياسة (أندريه سيغفريد) والزملاء من المؤرخين (أندري بيغانيون للتاريخ القديم ،جورج إسبيناس للتاريخ الوسيط وهنري هاوزر للفترة الحديثة والمؤرخ البلجيكي هنري بيرين⁽¹⁰⁾).

فكرة التسمية قد ولدت في مخيال لوسيان فيفر قبل هذا التاريخ من خلال شهادته التي ينقلها فرنسوا دوس في كتابه التاريخ المفتت (...منذ تسريحه من الخدمة العسكرية فكرت في إصدار مجلة كبيرة للتاريخ الاقتصادي العالمي ...) فالخاصية الاقتصادية لهذه المجلة كانت واضحة مبكراً وتزداد تأكيداً ووضوحاً في الرسالة التي بعث بها لوسيان فيفر إلى آرمان كولان في بداية عام (1928) يقترح فيها عنوان للمجلة التي ستصدر تحت اسم "التطور الاقتصادي :مجلة نقدية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" أما في شهادة جاك لوغوف - أحد معاصري المجلة وكتابها الرئيسيين - من خلال كتابه التاريخ الجديد- فيرد التسمية لهما معا مستشهدا بقولهما :...فقد كنا متأكدين بأن صفة الاجتماعي خاصة هي واحدة من هذه الصفات التي قولت الكثيرين عبر الزمن...فقد كانت عبارة مميزة لمجلة تطمح لأن تكون مفتوحة...فليس هناك تاريخ اقتصادي وآخر اجتماعي، وإنما التاريخ في وحدته لا غير..."⁽¹¹⁾.

في المقالة الافتتاحية لمجلة الحوليات التي نشرت في العدد الأول تحت عنوان " إلى قرائنا" أشار فيفر وبلوك إلى أهمية التراكم الذي حققته المجالات الموجودة بالساحة العلمية وما توفره من استفادة وأكدوا على ما تعرضه المجلة الناشئة من إضافة نوعية كما أعلنوا عن برنامج المجلة الجديدة الذي يقضي بالتمرد على التاريخ

التقليدي الذي أتعته المناهج البالية وتدمير الأسوار العالية التي تحجب رؤية الأفق وتُضيق على الاختصاص، فالمطلع على الأعداد الأولى يلاحظ المكانة الكبرى التي حظي بها التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والاطار الجغرافي الواسع الذي شمل كل القارات وتطرقها لموضوعات متعددة: تاريخ القرى والبنيات العقارية والزراعية، تاريخ المدن والموانئ والطبقات الاجتماعية، تاريخ الصناعة والتجارة ووسائل النقل، تاريخ النقود والأسعار والأجور، تاريخ أزمة الرأسمالية⁽¹²⁾ أما المؤرخ فرناند بروديل - مدير الحوليات بين (1956/1971) - فيذكر في شهادته حول تاريخ مدرسة الحوليات أن لوسيان فيفر في افتتاحية المجلة قد ندد بالبحث الذي يضع الحواجز بين التخصصات (مؤرخون، علماء اقتصاد علماء الاجتماع) حيث يعمل كل واحد في ميدانه محاصر بأسوار عالية مستشهدا بكلامه "...إننا ننوي النهوض ضد هذه الانقسامات ليس بواسطة مقالات منهجية ومباحث نظرية بل بالنموذج والواقع... مثال ذلك العاملون في مختلف التخصصات الذين سيعرضون نتائج أبحاثهم حول المواضيع التي تدخل في كفاءاتهم واختياراتهم... (13).

فالهدف الأشمل من إصدار المجلة لدى مارك بلوك ولوسيان فيفر هو فتح آفاق جديدة لتاريخ اقتصادي واجتماعي ينقذ الكتابة التاريخية من إرث مؤرخي جامعة السوربون والعبور به نحو معرفة ترى الواقع التاريخي وحدة متكاملة تتفاعل فيها عوامل جغرافية واجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية حيث لا يمكن تفسير أي ظاهرة تاريخية إلا بواسطة "التاريخ الإجمالي" الذي يربط بين العوامل السابقة الذكر، أي محاولة لسبر "الذهنية الجماعية" كما سماها مؤسس الحوليات التي تضم في طياتها السيكلولوجية الاجتماعية العامة ومظاهر الثقافة تلك الذهنية ذات البناء الاجتماعي والثقافي المبني على الزمن الطويل⁽¹⁴⁾.

2.3 مجلة الحوليات : التناهي وتوسيع حقل المعرفة التاريخية مع لوسيان فيفر ومارك بلوك:

2.3.1 توسيع مفهوم الوثيقة التاريخية:

بعد أن تحول لوسيان فيفر إلى التدريس بالمعهد الفرنسي سنة (1933) ومارك بلوك إلى التدريس بالسوربون سنة (1936) انتقلت مجلة الحوليات إلى باريس ومن هناك وجهت ضربات موجعة إلى المؤرخين التقليديين

الذين كانوا يقدسون الوثيقة التاريخية لذاتها خاصة أنصار المدرسة المنهجية التي تلقوا انتقادات واسعة حينما منحوا الأولوية المطلقة للوثيقة والحدث وقللوا من شأن تحليل المؤرخ واعتبروا الأخيرة أهم مصدر يُعتمد عليه في إعادة بناء الحادثة التاريخية ، فمع هذه المدرسة - الحوليات - ساد فهم جديد للبحث التاريخي شكل قطعة جذرية مع المدارس التاريخية الأخرى خاصة المدرسة الوضعانية الفرنسية - التي مثلتها كتابات لارنس لا فيس وغابرييل مونود Gabriel Monod- لذا حاولت مدرسة الحوليات مع أحد أبرز مؤسسيها وهو لوسيان فيفر إبراز عقم التاريخ بأسلوب حديث واعتماده على الوثيقة المكتوبة، وفي هذا الصدد يقول لوسيان فيفر: "لا شك أن التاريخ يكتب اعتمادًا على الوثائق المكتوبة إذا وجدت لكن يمكن بل يجب أن يكتب اعتمادًا على كل ما يستطيع الباحث بمهارته وحذقه أن يستنبطه من أي مصدر: من المفردات ومن الرموز، من المناظر الطبيعية، ومن تركيب الأجر من أشكال المزارع ومن الأعشاب الطفيلية، من خسوفات القمر ومن مقارن الثيران، من فحوص العالم الجيولوجي للأحجار ومن تحليلات الكيميائي للسيوف الحديدية (15)، أما مارك بلوك فيقر هو أيضا بأهمية الوثائق وبأهمية التحقق والتبحر بمعطياتها ومقرراتها لكن ذلك لا يكفي حسبه لأنه لا يجب ألا يكتفي بالوثائق وحدها كمصادر للتاريخ باعتبار ركام الوثائق التي يمتلكها التاريخ ركام غير محدود ولا يقتصر التاريخ على الوثائق المكتوبة"... إذ يمكن استكمال دراسة الحركات السكانية والهجرات ، من خلال المقابر الأثرية في منطقة من المناطق أو حضارة من الحضارات ثم عن المعتقدات والمشاعر والعواطف يمكن أن تنبئ عنها الصور والرسوم والتماثيل أكثر مما تنبئ عنها النصوص..."، كما دعت الحوليات إلى عدم الاقتصار على الوثيقة المكتوبة كعنصر مركزي في التحليل التاريخي كما كان الشأن ضمن التوجه الذي ساد لدى المدرسة الوضعانية ، فقد برز نداء يحث على ضرورة توسيع دائرة مصادر المعرفة التاريخية بالاعتماد على كل ما من شأنه أن يفيد في فهم وحل القضايا والاشكاليات التاريخية بالاعتماد على بقايا أركيولوجية ، نقود قديمة ، خرائط ، رموز، لأن التاريخ حسب لوسيان فيفر : "...كل ما يتصل بالإنسان ، كل ما ينتمي للإنسان ما يعبر عن الإنسان، ما يدل عن حضور الإنسان ونشاطه وأذواقه وطرق عيشه..." إنه وقوف صريح في وجه المدرسة الوضعانية بممثليها البارزين أمثال (أرنست لا فيس، وشارل سينيوبوس وشارل فيكتور لانغلوا) الذين هيمنوا في نهاية القرن

19 وبداية القرن 20 م على الانتاج التاريخي في قلبه التقليدي الذي تغلب عليه الأحداث ويقيده الارتباط الصارم بالوثيقة في مفهومها الضيق (16).

ففي كتاب لوسيان فيفر (مهنة المؤرخ) وهو العمل الذي لم يكتمل لمارك بلوك أكد أن مخزون الوثائق الذي يملكه المؤرخ ليس محدودا واقترح ألا تستعمل الوثائق المكتوبة بل يجب الالتجاء إلى مواد أخرى (أثرية، فنية ومسكوكاتية) وغير نظرتة إلى الوثيقة بشكل جذري فأخذ على عاتقه كمهمة أولى :فحص الوثيقة من الداخل وتديرها وتقسيمها إلى مستويات وسلاسل ثم استنباط ما يخدم الموضوع كمهمة ثانية ، فكل شيء هو مصدر للتاريخ على رأي مؤرخي الحوليات عكس المدرسية الوضعية التي حصرت المادة التاريخية على الوثائق المكتوبة والأرشيفات (17).

فإذا كان للوثيقة دور أساسي في كتابة التاريخ عند رواد المدرسة الوضعية من خلال اعتبارها لسان حال المؤرخ وإعطاء أهمية لمرحلة تحليل الوثائق ومرحلة التركيب وإيلائهم أهمية قصوى للمرحلة الأخيرة فإن مارك بلوك يرى أن التداخل بين المرحلتين لا مفر منه وأن الوثائق حتى وإن كانت خالية من لبس لا تتكلم إلا إذا أحسن المؤرخ استنباطها إذ ركز على أهمية التركيب وجعل منه منهجا رئيسياً في عملية إدراك التاريخ لكن دون إغفال دور البحث المونوغرافي في تكوين شخصية المؤرخ ،هذا الطرح اشتغل عليه المؤرخون اللاحقون وفق آليتين أساسيتين المونوغرافيا في مرحلة أولى كبحت تفصيلي مرتبط بمجال جغرافي محدد وموضوع مطوق يكتسب فيه الباحث أدوات العمل والتنقيب والتحليل ثم التركيب في مرحلة ثانية كبحت يشمل مجالا أوسع (قومية، قاريا) (18).

هذا التطور الحاصل على مستوى الوثيقة سيتبلور أكثر مع ابستمولوجيين أمثال بول فاين وهنري هذا الأخير يعرف الوثيقة بأنها :... كل مصدر للأخبار يتمكن من خلاله فكر المؤرخ من استخلاص شيء من معرفة ماضي البشرية منظورا إليه من خلال الإشكال المطروح... وشيئا فشيئا تتسع الفكرة وتنتهي باحتواء نصوص وآثار وملاحظات من كل نظام..." كما اعتبر بأن فكرة الوثيقة تتقدم مع تعميق فكرة التاريخ ذلك أن الادراك الضيق للشاهد - حسب مفهوم عبد لله العروي- يؤدي في نظره إلى تاريخ نظري مجمل بحدّة ،أما بول فاين فيرى

بأن التاريخ معرفة بواسطة الوثائق لكن السرد التاريخي يتجاوز كل الوثائق ويضع نفسه فيما وراء الوثائق ويرجع ذلك إلى كون أي وثيقة لا تستطيع أن تكون هي بذاتها الحدث فالوثيقة ليست هي الحدث بل حكاية عنه كما نجد نفس المعنى عند إدوارد كار الذي يرى الوثائق أشياء أساسية للمؤرخ لكن ينبغي عدم جعلها معبودا علميا لأنها لا تمثل التاريخ ذاته إلا أنها تعطي في ذاتها جوابا غير جاهز عن السؤال المتعب ما هو التاريخ⁽¹⁹⁾.

2.3.2 القطيعة الاستمولوجية مع التاريخ الحديث:

أول صراع خاضته الحوليات كان ضد التاريخ السياسي وهو أشد ما يكرهه لوسيان فيفر ومارك بلوك خاصة في شكله الدبلوماسي المقيت الذي يهتم بصورة خاصة بالأفراد والفئات العليا من المجتمع وبنخبه (الملوك، رجال الدولة، قادة الثورات) وبالوقائع (الحروب والثورات) وبالمؤسسات التي تهيمن عليها النخب (السياسية والاقتصادية والدينية)، فلقد نقلت الحوليات اهتمامها من دراسة الأحداث السياسية إلى دراسة النواحي الاقتصادية والاجتماعية، فعبارات من قبيل "التاريخ الحديث" و"التاريخ السياسي" غير مرغوب فيها ومحل انتقاد من طرف الرواد الأوائل للحوليات فلوسيان فيفر عندما فتح كتاب (تاريخ روسيا) لشارل سينيوبوس عبر عن ذلك قائلا "...يا له من مشهد القياصرة الهارين من الملك أوبو... مآسي القصور ووزراء وبيروقراطيين... ليس لنا تاريخ لروسيا وإنما التاريخ السياسي لروسيا... ليس هذا هو التاريخ..."، أما مارك بلوك فقد انتقد التاريخ الدبلوماسي واعتبره مجرد أحجيات لغياب الجغرافيا والاقتصاد في مضامينه فمن خلال كتاب: معارك من أجل التاريخ" للوسيان فيفر أو كتاب "مهنة المؤرخ" نجد دعوة صريحة لهذا التوجه.

نتج عن انهيار التاريخ السياسي توسيع الحوليات لحقل المعرفة التاريخية بتوجيه المؤرخين نحو آفاق أخرى كالطبيعة والمشاهد والسكان والديمغرافيا والمبادلات والعادات وأعطيت أهمية كبرى للظواهر الاقتصادية والاجتماعية، فقط أظهر التحقيق الذي قام به جان لوي أستور هوف للمجلة بين سنتي (1929-1945) تخصيصها ل(84%) من المقالات للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي وكان الملهم إلى ذلك الاتجاه والمنحى عالم الاجتماع الدوركايي فرانسوا سيميان الرائد الحقيقي للتاريخ الاقتصادي المبني على المنهج الإحصائي

الذي يعطي إحاطة أشمل للدورات المنتظمة والحركات الشاملة التي تحدث في المجتمع، وهذا ما أدى بلوسيان فيفر في بداية سنة (1930) إلى دعوة المؤرخين إلى تجاوز كبريائهم وقراءة كتاب (سيميان) " درس الاقتصاد السياسي " كمصدر إحياء ومحاولة تجريبية (20).

فالتاريخ السياسي لدى مؤرخي الحوليات ما هو إلا تاريخ وقائع وتاريخ أحداث يتخفى وراءه الدور الحقيقي للتاريخ الذي تدور أحداثه في الكواليس وفي البنى الخفية التي يتوجب الكشف عنها وتفسيرها وتحليلها، إذ نجد في مقال بعنوان " تاريخ أم سياسة " نشره لوسيان فيفر سنة (1931) في مجلة التوليف التاريخي التي بقي متعاوناً معها قد تساءل عن قيمة التاريخ الدبلوماسي لأوروبا الذي أرخ للدبلوماسية وأمزجة المشاهير والتحركات الجماهيرية الشعبية وتغاضى عن الأسباب الحقيقية المحركة للتغيرات الحديثة السطحية التي أرجعها إلى أسباب حقيقية (منها ما هو جغرافي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو فكري وديني ونفساني أيضاً) لذا هناك رفض للتاريخ السطحي والتبسيطي الذي يتوقف عند سطح الحدث المعتمد على السبب المفرد، ودعوة للتوجه نحو تاريخ معمق وكلي يحطم التاريخ الفقير المتحنط المتخفي تحت قشرة مضللة على حد قول لوسيان فيفر (21).

هذا التوجه الجديد خلق نسق متلاحم لمجموعة من العناصر الحاسمة في دراسة وكتابة التاريخ تقوم على توسيع حقل المعرفة التاريخية بالانفتاح على العلوم الاجتماعية والاحتكاك المتواصل بها، والاهتمام بقضايا أساسية وجديدة تمس التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والديمقراطي والذهني وذلك لتجاوز التاريخ التقليدي المهتم بالحوادث العسكرية والسياسية والتوجه نحو ضرورة تغيير البحوث التاريخية في اتجاه الواقع المعقد والمتشابك للحياة البشرية في محيطها الجغرافي وبنياتها الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية وأطرها الذهنية لأن التاريخ على حسب قول مارك بلوك... ليس هو تراكم الأحداث المختلفة التي أنتجها الماضي بل هو علم المجتمعات الانسانية... (22).

2.3.3 المقاربة الجديدة في النسق التاريخي للحوليات: التركيب، الأشكلة، المنهج المقارن

ألح مارك بلوك على أهمية التركيب وجعل منه منهجا رئيسيا في عملية إدراك التاريخ إذ يقول "...في تطور المعارف يسدي التركيب أحيانا، مَهْمَا بدا مبكرا، أهم بكثير من المونوغرافيا..." هذا الطرح يظهر مع أحد المتشبعين بفكر مارك بلوك، وهو جورج دوبي فقد استطاع هذا الأخير الانتقال من تنقيب مونوغرافي حول الفيودالية في منطقة ماكونيا بشرق فرنسا خلال القرن الحادي والثاني عشر إلى دراسة تركيبية حول القرى الأوروبية خلال العصر الوسيط (23).

هناك جانب تجديدي آخر جاءت به الحوليات والمتمثل في إعطاء قيمة للتاريخ - المشكل - ، فالمؤرخ بالنسبة لمارك بلوك ولوسيان فيفر لا يستطيع أن يكتب أو يكتب بالكتابة تحت إملاء الوثائق بل عليه أن يسألها ويضعها ضمن إشكالية ، فالتاريخ لم يعد يتم فصل وفق حقبة كلاسيكية ولكن وفق مشكلات يتم إبرازها والبحث عن أجوبة لها(24).

فإن كان شارل سينيوبوس قد نادى في بداية القرن العشرين بعبارته الشهيرة "لا تاريخ دون وثيقة" فإن أستاذ ستراسبورغ قد شدد على عبارة مغايرة "لا تاريخ دون أسئلة" فقد جعل هذا الأخير من السؤال مبتدأ التاريخ ومنتهاه وإخضاع البحث التاريخي إلى طرح الأسئلة وصياغة الإشكالية على اعتبار استشكل القضايا هو الذي يجعل حقل التاريخ "عريضا وعميقا" ويُمكن من جمع خيوط الفعل البشري ذات الصلة بالمجال والمجتمع والاقتصاد والفكر (25).

ومن بين الزوايا المعرفية التي تناولتها مدرسة الحوليات نجد المنهج المقارن فكل المؤلفات التي أنجزها مارك بلوك مفعمة بهذا المنهج، ففي كتابه (المجتمع الفيودالي) يزاوج فيه بين المقارنة والتركيب، هذا الكتاب الصادر سنة (1939) نموذج حقيقي في الكتابة التاريخية على مستوى الفهم والتفسير حيث استطاع بلوك بمنظوره الخاص أن يعانق التاريخ الأوروبي في سياق مقارنة أفقية شملت بلدان فرنسا وأنجلترا وألمانيا (26).

3. الحوليات: من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي إلى التاريخ الجديد

3.1. فرنان بروديل والبحر المتوسط: من موضوع للبحث إلى مجال لتصور جديد للتاريخ

في منتصف القرن العشرين كانت مدرسة ستراسبورغ – الحوليات – قد بلغت درجة عالية من النضج مكنتها من تأكيد حضورها على الساحة الأوروبية والدولية وكان الجيل الثاني الذي جسده فرنان بروديل بامتياز هو الذي جعل هذه المدرسة تشع إشعاعاً عالمياً فقد استطاع الأخير أن يوسع مساحة التناهج بالحوار مع المقولات الرائجة في العلوم الاجتماعية المجاورة ولا سيما الجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وأن يبتكر تصوراً جديداً للتاريخ يستند إلى تعدد الأزمنة والآماد والبنىات كحلقات أساسية لفهم التاريخ (27).

تعرف بروديل على لوسيان فيفر الذي أصبح صديقه وأستاذه والذي نصحه بتحويل موضوع أطروحته التي كان قد سجلها سنة (1923) تحت عنوان "سياسة فليب الثاني المتوسطية" إلى دراسة شاملة عن "المتوسط في عهد فليب الثاني" فهذا التغيير في العنوان كان يعني انقلاباً في المنهج والمضمون ومدة العمل وكان يعني أيضاً أن شخصية الأطروحة ستكون "البحر المتوسط" وليس شخصية الملك الإسباني "فليب الثاني" فقد استوجب هذا التغيير عملاً طويلاً ومضنياً في أرشيفات المدن المتوسطية (مدريد روما، البندقية) (28)، أما المتوسط في صفته الجنوبية الذي اكتشفه من الجزائر التي حل بها مدرسا بثانوية قسنطينة سنة (1921) إلى غاية (1932)، فقد عبر عنه بقوله "أظن أن هذا المشهد، هذا البحر المتوسط كنظرة من الضفة الأخرى – من الظهر – ساهم إلى حد بعيد في بلورة تصوري للتاريخ (29).

في أثناء بحثه اكتشف بروديل أنه يسير في اتجاه قطيعة مع المقاربة التاريخية التي كانت سائدة مع بداية القرن العشرين، فالانتقال من تتبع سياسة فليب الثاني المتوسطية إلى البحث في الأصول الفيزيائية والجيولوجية والمناخية والتضاريسية للبحر المتوسط لم يكن مجرد استبدال موضوع بآخر بقدر ما كان يحمل التحرر من قيود التأريخ التقليدي وإرساء أسس جديدة للبحث التاريخي تؤدي بالمعرفة التاريخية إلى دراسة حيز بحري – البحر المتوسط – وهذا ما حمل بروديل على تلمس شخصية المتوسط شديدة التركيب والتعقيد والتي تتداخل فيها حياة اليابسة بحياة البحر التي تتيح انتقال البشر وتبادل السلع وتداخل الحضارات وتمازجها (30).

شق بروديل طريقه نحو التاريخ الجديد المنفصل عن التاريخ التقليدي متأثراً بدروس الجغرافيا الإنسانية وكتاب "لوحة عن فرنسا" لـ De la blanche وبأطروحات إقليمية لـ Demangeon و Sion و Blanchard.

المهتمين بخصائص البيئة الطبيعية أثناء دراسة التحولات التاريخية، كما استوحى تجربة L.Febvre الذي فتح حوارًا بين التاريخ والجغرافيا في كتابه " الأرض والتطور البشري" وبنظرته للكتابة التاريخية القائمة على أساس طرح المشكلات الكبرى L'histeire Problème في سياق الزمن التاريخي الطويل فضلا عن الاحتكاك مع الاتجاهات الفكرية المختلفة كالمادية وخاصة البنيوية.

سواء في سلسلة مقالاته ذات الطابع المنهجي التي جمعها ونشرها تحت عنوان " كتابات حول التاريخ" 1969 أو في أطروحته النموذجية " البحر الأبيض المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني" التي نشرت عام 1949 أو في مجموع مؤلفاته الأخرى " الحضارات الكبرى للعالم المعاصر " 1963 و " الحضارة المادية: الاقتصاد والرأسمالية من القرن 15 الى القرن 18م " 1980، أو في " دينامية الرأسمالية " 1985 استطاع بروديل استيعاب نماذج الدراسة البنيوية واتجهت دراساته نحو الجغرافيا التاريخية وهو اتجاه سيؤثر على موضوع التاريخ بشكل جذري من حيث البرنامج وتشكيل المفاهيم⁽³¹⁾.

3.2 مفاهيم التحليل البروديلي (الزمن والبنية):

بناءً على الرصد المنهجي والعلمي تمكن فرنان بروديل من تشكيل مفاهيم جديدة للتحليل التاريخي ففي أطروحته حول "البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني (1558/1598)" تلك الأطروحة التي قدمت للمناقشة سنة (1947) بإشراف من مؤسس الحوليات - لوسيان فيفر - كتب بروديل مدخلا نظريا قويا فسر فيه نظريته للتاريخ، إذ يقول في مدخل عمله: "... ينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة فصول كل واحد يعتبر في حد ذاته محاولة للتفسير الأول يتعلق بتاريخ شبه ثابت وهو تاريخ الإنسان في علاقته مع الوسط الذي يحيط به وهو تاريخ بطيء السيل والتحول فوق هذا التاريخ شبه الثابت يوجد تاريخ بطيء الإيقاع يمكن أن نسميه تاريخ اجتماعي، تاريخ التجمعات والمجتمعات، وأخيرا الفصل الثالث المخصص للتاريخ التقليدي، تاريخ الفرد وهو تاريخ ذو تذبذبات قصيرة وسريعة ومتوترة، هكذا توصلنا إلى تفكيك التاريخ إلى ثلاث مستويات متدرجة ميزنا فيها بين ثلاث أزمنة للتاريخ: زمن جغرافي، زمن اجتماعي، زمن فردي...⁽³²⁾.

في أطروحته "La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II" حاول بروديل تجسيد أهمية وفعالية المؤثر الجغرافي في ميلاد حضارة البحر المتوسط، كما أن ثنائية العنوان (المجال - الإنسان) وتقديم المجال عن الإنسان - تقديم موضوع البحر المتوسط عن موضوع شخصية فليب الثاني - كشف عن الثقل الذي يمثلته المجال في صيرورة التاريخ المتوسطي وهو ما اصطلح عليه بـ الجيو- تاريخ، واضعاً ثلاث مكونات متدرجة: من مستوى زمن الطبيعة إلى مستوى الزمن الاجتماعي فالزمن الفردي وهذه الأزمنة متداخلة ومتكاملة لا تفهم إلا في إطار الشمولية التاريخية:

- المكون الأول: في قاعدة الهرم يتعلق بتاريخ شبه ثابت، تاريخ الإنسان في علاقاته مع الوسط الذي يحيط به تاريخ بطيء السيل والتحول، مكون غالباً من حلقات متكررة.

- المكون الثاني: في الوسط وهو عبارة عن تاريخ ذو إيقاع بطيء، تاريخ بنيوي، تاريخ اجتماعي لأنه تاريخ الجماعات والتجمعات.

- المكون الثالث: في الرأس، هو تاريخ تقليدي، تاريخ ذو بعد فردي وليس ذا بعد إنساني، إنه تاريخ التغيرات الوجيزة والسريعة (33).

وهذا التصميم للتاريخ يطرح جدلية بين المجال والزمن ويفرز تعددية في الأزمنة والآماد:

/الزمن طويل: هو المستوى العميق للواقع التاريخي، هو المركز الذي يجذب حوله الزمن الدوري والزمن القصير وهذا الأمد الطويل لا يمكن أن يفهم إلا في نطاق مفهوم آخر موازي هو " البنية " فالأمد الطويل هو تاريخ بنيات (جغرافية ،اقتصادية ،اجتماعية ،ذهنية) بطيئة التطور وهو مفهوم تاريخي، أي تركيب وهندسة، ويظهر هذا التحليل المبني على الأمد الطويل في الفصل الأول من الأطروحة والمعنون بـ "حصة المجال " حيث يستعرض فيه مختلف الوحدات الجغرافية المكونة للمجال المتوسطي (34).

/الزمن الدوري: أو زمن الحلقات الدورية ويعني به بروديل تاريخ الظرفية تاريخ التذبذبات التي يعيشها الاقتصاد كواقع ارتفاعات وهبوط الأسعار التي يمكن التعامل معها عبر مقاطع زمنية عريضة: 10-20-50 سنة،

والجدير بالذكر أن الظرفية امتدت مع بروديل لتشمل إضافة إلى دورات الأسعار ودورات الإنتاج الدورات الديمغرافية والدورات البيولوجية، ولا يقتصر الفصل الثاني من الأطروحة على " الحلقات الدورية " فقط بل يجمع وعلى نحو جدلي البنات والظرفيات أي (الزمنين الطويل والدوري) والملاحظ في إطار العلاقة الجدلية بين هذين المستويين أن الدورات والبيدورات والأزمات إذا تكررت باستمرار ولم تؤد إلى تراكم حامل لتغيير نوعي تدرجت في البنية وأصبحت جزءا لا يتجزأ من الزمن الطويل⁽³⁵⁾

/الزمن القصير: وهو المستوى الثالث من المستويات المفاهيمية والتاريخية للتحليل البرودلي والمربط بالتاريخ التقليدي للفرد للحدث، إنه الزمن الإخباري والصحفي - الميكرو - تاريخ- وهو الفصل الثالث من الأطروحة الذي يحمل عنوان " الأحداث السياسية والأفراد " يجمع بين تحليل المؤسسات السياسية والتنظيمات العسكرية للقوتين الإسبانية والعثمانية ويعتبر مساهمة في التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري وتنازلا منه للتاريخ الحديث لكنه يجعله في المرتبة الثالثة والأخيرة تاركا المكان الرئيسي للقضايا والمشاكل الأساسية في تاريخ الإنسان.

إن بروديل وإن كان في أطروحته قد هدف إلى استيعاب زمن التاريخ في تعدديته (زمن طويل، زمن دوري زمن قصير) لفهم الواقع الاجتماعي في شموليته لبناء تاريخ كلي(Histoire totale) يهتم بكل ما يتصل بالحياة البشرية، فانه في كتابه " الحضارة المادية: الاقتصاد والرأسمالية " قد ركز على البعد الاقتصادي وكأنه يجسد عمليا التصور المادي للتاريخ، حيث أخذ هذه المرة بعدا أوروبا بل عالميا في إطار تاريخ مقارن يشمل قارات (أوروبا آسيا إفريقيا أمريكا) على مدى الأزمنة الحديثة، وفي الكتابين يسعى بروديل إلى نظرة علمية تسهم فيها العلوم الإنسانية إذ لا حل بدراسة مبنية على تعدد المناهج وإنما بتوحيد العلوم في " علم إنسان " للوصول إلى استنباط منهجية واحدة تطبق على جميع علوم الإنسان وذلك برؤية شمولية⁽³⁶⁾.

الخاتمة

إن الكتابة التاريخية عند مدرسة الحوليات تقوم على ضرورة انفتاح التاريخ على العلوم الاجتماعية، فلا يمكن للمؤرخ اليوم التغاضي عن نتائج العلوم الأخرى، ولا يتصور أنه يستطيع العيش بمعزل عنها؛ لذلك قال

فرنان بروديل: "...لكي ينجح علم التاريخ ينبغي أن يتعاون مع العلوم الإنسانية الأخرى، ولكي تنجح العلوم الإنسانية الأخرى ينبغي أن تأخذ البعد التاريخي بعين الاعتبار، فلا توجد مشكلة فردية أو جماعية إلا ولها بعد تاريخي، بل إنه يحتاج إليها فيما يسمى التاريخ الكلي والكمي الذي يحمل في طياته علم الاجتماع والاقتصاد والديمقراطية..." فهذه المدرسة فتحت أفقا جديدا للتاريخ والمؤرخ على حد سواء للعبور بالبحث التاريخي نحو مواضيع ذات بعد اقتصادي اجتماعي وثقافي وذهني وهذا ما أدى فيما بعد إلى ظهور أبحاث جديدة خاصة جوانب مظلمة ومغفية منها تاريخ اللصوصية والطبقات الهشة، تاريخ المجانين، تاريخ الرعاة.

الهوامش :

⁽¹⁾ الإسطوغرافيا (L'historiographie): تعرفها المدرسة الألمانية للتاريخ على أنها: علم كتابة التاريخ (علم التأريخ)، وبمعنى آخر: دراسة منهجية تطور الكتابة التاريخية، ويعرفها العروبي: على أنها مجموعة ما قيل وكتب حول موضوع معين، وتسمى أحيانا أدبيات الموضوع، انظر: عبد الله العروبي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، (بيروت - المغرب : 2005)، ط 4، ص 97.

⁽²⁾ فرنسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، (بيروت: 2009)، الطبعة الأولى ص ص 49، 50.

⁽³⁾ نفسه، ص 52.

⁽⁴⁾ نفسه، ص 52: كانت الغاية من نشر هذه المقالة على صفحات مجلة الحوليات بعد مضي أكثر نصف قرن على صدورها هي تمكين المؤرخين الشباب من قياس طول المسافة التي قطعها الحوار بين التاريخ والعلوم الاجتماعية كما تقول هيئة تحرير المجلة.

⁽⁵⁾ محمد حبيدة، المدارس التاريخية: برلين، السوربون، ستراسبورغ، دار الأمان، (الرباط : 2015)، الطبعة الأولى، ص ص 43، 44.

⁽⁶⁾ دوس، المرجع السابق ص 56.

⁽⁷⁾ محمد حبيدة، مدرسة الحوليات مفاهيم التحليل البرودلي، مجلة أمل (المغرب)، العدد الثالث، السنة الأولى، 1993، ص 82.

⁽⁸⁾ دوس، المرجع السابق، ص ص 77، 78.

⁽⁹⁾ تغير إسم المجلة كثيرا طيلة القرن العشرين من (1929-1938): حوليات التاريخ والاقتصادي الاجتماعي، من (1939-1941): حوليات التاريخ الاجتماعي، من (1942-1944): مزيج التاريخ الاجتماعي، سنة 1945: حوليات التاريخ

- الاجتماعي، من 1946-1993: الحوليات: اقتصاديات، مجتمعات، حضارات، ابتداءً من سنة 1994: الحوليات: التاريخ والعلوم الاجتماعية.
- ⁽¹⁰⁾ خالد طحطح، الكتابة التاريخية، دار طوبقال، (المغرب: 2012)، الطبعة الأولى، ص 86.
- ⁽¹¹⁾ جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، (بيروت: 2012)، الطبعة الأولى، ص 81.
- ⁽¹²⁾ حبيدة، مدرسة الحوليات...، ص 79.
- ⁽¹³⁾ فرناند بروديل، تكويني كمؤرخ، ترجمة محمد حبيدة، مجلة أمل (المغرب) العدد الثاني، السنة الأولى، 1992، ص 124.
- ⁽¹⁴⁾ قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، (بيروت: 2013)، الطبعة الأولى، ص 200.
- ⁽¹⁵⁾ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب، الجزء الأول، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء- بيروت: 1997)، ص 180.
- ⁽¹⁶⁾ محمد حبيدة، مدرسة الحوليات مفاهيم التحليل البرودلي، مجلة أمل (المغرب)، العدد الثالث، السنة الأولى، 1993، ص 82.
- ⁽¹⁷⁾ طحطح، المرجع السابق، ص 88.
- ⁽¹⁸⁾ حبيدة، المدارس التاريخية...، ص 82.
- ⁽¹⁹⁾ عبد الرحيم الحسناوي، الوثيقة التاريخية: إضاءة إستيمولوجية، مجلة المخطوطات للأبحاث التخصصية، المجلد الأول، العدد 03، سبتمبر 2017، ص 13.
- ⁽²⁰⁾ دوس، المرجع السابق، ص 117.
- ⁽²¹⁾ لوغوف، المرجع السابق، ص 87.
- ⁽²²⁾ حبيدة، مدرسة الحوليات...، ص 81.
- ⁽²³⁾ حبيدة، المدارس التاريخية...، ص 81.
- ⁽²⁴⁾ دوس، المرجع السابق، ص 120.
- ⁽²⁵⁾ حبيدة، المدارس التاريخية...، ص 85.
- ⁽²⁶⁾ دوس، المرجع السابق، ص 125.
- ⁽²⁷⁾ حبيدة، المدارس التاريخية...، ص 88.

²⁸ وجيه كوثراني، تاريخ التاريخ: اتجاهات، مدارس، مناهج، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، (بيروت: 2013)، الطبعة الثانية، ص 213.

²⁹ بروديل، المرجع السابق، ص 111.

³⁰ فرنان بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، ترجمة مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي، (بيروت: 1993)، الطبعة الأولى، ص 07

³¹ نفسه، ص 117.

³² حبيدة، المدارس التاريخية...، ص 90.

³³ حبيدة، مدرسة الحوليات...، ص 97.

³⁴ بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، ص 08

³⁵ حبيدة، مدرسة الحوليات...، ص 98.

³⁶ حبيدة، المدارس التاريخية...، ص ص 92، 93.